# رجال النفاق

أيها القارئ الكريم:

إن أهل النفاق - حيث كانوا - هم أخطرُ جُندٍ للباطل. وأسوأ وباءٍ في حياة الإنسانية، إنهم عبيدُ المنفعة وطلابُها. وهم من أجلها لا يستقرون على مبدأٍ ولا يثبتون مع اعتقاد. دوافعهم دائماً ترتبط بمنافعهم، ومنافعهم دائماً ينشدونها بلا تقيدٍ بخلق أو قانون، فالدس والمداهنة والوقيعة، والرياءُ والنميمةُ والافتراء، وإبداء الإيمان عند الحاجة، وخلْعه كلما خَلَوا إلى شياطينهم، أسلحة من صنع الهوى والشيطان، يتسلح بها المنافق؛ ليحقق نفْعاً في جميع الأحوال، وليربح من جميع الأطراف المتنازعة أو المتناقضة.

وهو أشد الناس كرهاً للطهر واستقامة الأحوال، بل أشد الناس بغضاً للتآلف والتراحم ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ

بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [1]

✿✿✿

أيها القارئ الكريم:

ذكرنا آنفاً كيف يُعَامَلُ هذا الصنف من الناس، وكيف ينحسرُ شرُّه بوحي المؤمن وإدراكه، وصدقِه وإخلاصِه، وعَرْضِه كلَّ شئ على ميزان الشرع حتى لا يُخدع بالأساليب الخادعة والألفاظ المنمقة.

بالتثبت والإخلاص لا يقع الناس في خداعهم ولا يستجيبون لإغرائهم. باتباع سبيل المؤمنين ومؤازرتهم وحبِّهم. بهذه الصفات وغيرها من طاعة الله ورسوله ينحسر شرُّ النفاق ويبطل كيدُه ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [2]

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [3]

وقد رأينا موقف رسول الله ﷺ مع عبد الله بن أُبي رأسِ المنافقين الذي أرادها فتنة في غزوة بني المصطلق - كما ابتغاها في مواطن كثيرة - عندما تخاصم غلامٌ للمهاجرين مع آخر للأنصار. ونادى هذا: يا للأنصار، ونادى الآخر: يا للمهاجرين، وخرج رسول الله ﷺ فانطفأت الفتنة بقوله: « **ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها**

(١) البقرة : ١٠-١٦.

(٢) النساء : من الآية ١٤١

(٣) النساء : ١٣٨-١٣٩.

منتنة »، ولكنَّ ابنَ أُبي لم يَدِعْها تمضي دون أن يحقِّق غرضَه، فأخذ يعمل في أسلوب الدس والوقيعة، وسمعه الغلام المؤمن "زيدُ بن أرقم" يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال: أنت والله الذليل المبْغَضُ في قومه، ومحمد ﷺ في عزٍّ من الرحمن وقوة من المسلمين.

وأخْبَر زيد رسولَ الله ﷺ بما سمع، ولم يرِدْ رسولَ الله ﷺ أن يبدي تصديقه للخبر، ولما أقسم الغلام على ما سمع. قال: « **لعلَّه أخطأ سَمْعُك** » وحزن الغلام حزناً شديداً، ولامه قومه من الخزرج. وشدَّ عمَّه اللوم عليه، فقال الغلام: والله لقد سمعت ما قال، ولو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله، وإني لأرجو أن يُنْزِلَ اللهُ على نبيه ما يصدقُ حديثي. ورأى عمرُ بن الخطاب أن تُضْرِبَ عُنُقُ ابنِ أُبي وأبى رسول الله ﷺ قائلاً: « **كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟** » وأمره أن يؤذن بالرحيل في ساعة منكرة شديدة الحر. ليشغل الناس عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبي.

وكلَّم رسولُ اللهِ جماعةً من الأنصار فذهبوا إلى ابن أُبي. وقالوا له: إن كنت قُلْتَ ما نُقِلَ عنك. فأخبرْ به النبيَّ فليستغفرْ لك. ولا تَجْحَده فيتزلْ فيك ما يكذبُك، وإن كنتَ لم تَقُلْه، فأتِ رسولَ الله فاعتذر له. واحلف له ما قُلْته. فحلف لهم بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً. ثم مشى إلى النبي ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: « **يا ابن أبي، أنت صاحبُ هذا الكلام الذي بلغني عنك ؟ إن كانت سبقت منك مقالة فتب** » فقال: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيداً لكاذب. فقال الحاضرون. عسى أن يكونَ الغلامُ أوْهَم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل. يا رسول الله، شيخُنا وكبيرنا لا يُصَدَّقُ عليه غلام..

ولما علم ابنه عبدُ الله بما كان من أمر أبيه عبد الله بن أبي وما كان من عمر حين هَمَّ بقتله، جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد

الله بن أبي فيما بلغك عنه. فإن كنت فاعلاً فمرْني أن أَحْمِلَ لك رأسَه، فوالله لأحملنَّ إليك رأسَه قبل أن تقوم من مجلسك هذا. فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرَّ بوالده منِّي، ولكني أخشى أن تأمر غيري بقتله، ثم لا تستريحُ نفسي حتى أقتلَ ذلك الذي أمرتَه بقتله، فأكونَ قد قتلتُ رجلاً مؤمناً بكافرٍ فأدخلُ النار. فعفوك أفضل ومنتك أعظم يا رسول الله، إن أبي كان قومُه قد اتفقوا على أن يتوجوه فجاء الله ﷻ بك فوضعه، ورفَعَنا بك. ومعه قومٌ يَطيفُونَ به ويُذَكِّرونه أموراً قد غَلَب الله عليها. فقال له رسول الله ﷺ: « **ما أردت قتله، ولا أمرت به، ولنحسن صحبته ما كان بين أظهُرنا** »

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى وادي العقيق. تقدم عبدُ الله رضي الله عنه وجعل يتصفح الركاب حتى مَرَّ أبوه، فأناخ به، ثم وطئ على يَد راحلته. فقال له أبوه: ما تريد يا لكع، فقال: والله لا تدخل حتى تُقِرَّ أنك الذليل وأن رسول الله العزيز. وحتى يأذن لك رسول الله ﷺ لتعلمَ أيضاً الأعزَّ من الأذل. أنت أو رسول الله.

فجعل يقول: لأنا أذل من الصبيان حتى جاء رسول الله ﷺ فقال لعبد الله: « **خَلِّ عن أبيك** » فخلَّى عنه وقال: لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لأضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فقال: ويحك أفاعلٌ أنت ؟ قال: نعم. فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. فقال الرسول ﷺ لعبد الله: « **جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً** ».

ولكن ماذا عن الغلام الذي أخبر رسول الله ﷺ بما سمع وعنَّفه قومُه على ما فعل ؟

ماذا عن زيد بن أرقم ؟ فلنستمع إلى زيد نفسه وهو يقول: رأيتُ رسولَ الله تأخذه البرحَاء. ويَعْرَقُ جبينُه الشريف. وتَثْقُلُ يَدَا راحلته، فقلت إن رسول الله ﷺ يُوحى إليه، ورجوت أن يُنْزِلَ الله تصديقي.

فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ أخذ بأذني وأنا على راحلتي يرفعها إلى السماء حتى ارتفعتُ عن مَقْعدي، وهو يقول: « **وعَتْ أُذُنك يا غلام. وصَدَّق اللهُ حديثك، وكذَّب المنافقين** »، وقال الرسول ﷺ: « **هذا الذي أوفى الله بأذنه** ».

ولما نزلت سورة المنافقون صَارَ الخزرج يُعاتبون ابنَ أُبي ويعنِّفونه وكرهوه. فلما علم رسول الله ﷺ بذلك قال لعمر: « **كيف ترى يا عمر ؟ إني والله لو قَتَلْتُه يومَ قُلْتَ لأرْعَدَت له أنوف لو أمَرْتُها اليوم بقتله لقَتَلْتَه** » فقال عمر: قد واللهِ علمتُ لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركةً من أمري.

**أخي المسلم:**

تلك حكمةُ رسول الله ﷺ وهو يضع الأمر في موضعه، فيأتي بأبرِّ النتائج وأكرمها.

إن المنافقين يعيشون في المجتمعات البشرية كالوباء، يشتد فتكه وتزداد ضراوته عندما تفقد المجتمعات جَوَّ الطهر والنظافة. ولكن عندما تتحصن الأمة بصادق الإيمان وطهر السلوك، عندما تؤثرُ رضى الله على كلِّ شئ. عندما يتماسك أبناؤها ويستمسكون بالذي شرفهم الله به من رسالة نبيه.

عندما يكون المجتمعُ يقظاً لغايته، معتزّاً بأدب شريعته، لن يجد المنافقون سبلاً لنشر وبائهم وإشاعة سمومهم. لن يجدوا موضعاً للزلفى يطلبون بها المنفعة، ولا للخداع يرجون به المتاع. بل سيرتد كل شئ إلى نحورهم ذلاً وهواناً، وهذا ما حافظ عليه نبي الرحمة ﷺ، حافظ على وَحْدَة الصف فلم يقبل أن يرتفع صوت للجاهلية بين صفوف المؤمنين من نزعة قبلية أو عنصرية تستند إلى الآباء والأجداد، بل جمعهم على أخوة الإيمان وصهرهم في بوتقتها، فرأينا الابن ينكر على الأب موقفه بل يطلب إذناً من النبي بقتله، ورأينا الغلام زيد بن أرقم – وهو من قبيلة عبد الله بن أبي – يقف هذا

الموقف الواعي المبصر، فلا يقبل كلمة يساءُ بها رسول الله ﷺ ولو كان من أقرب الناس إليه، ويرد من فوره على ابن أبي قائلاً: أنت والله الذليل المبغَّض في قومه ومحمدٌ ﷺ في عز من الرحمن وقوة من المسلمين.

بهذه الحكمة البالغة في الحفاظ على آداب الإسلام وتمسك المسلمين بدينهم، وعلاج أمر المنافقين على الصورة التي تكشفهم وتفضح أمرهم. بهذه الحكمة يحيا المجتمع الإسلامي نظيفاً طهوراً لا يجد المنافقون فيه مجالاً لتحقيق مآربهم في نشر الفتنة وبذر الشقاق ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1]

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وألسنتنا من الخيانة، وارزقنا صادق الإخلاص لك وحسن التوجه إليك. آمين.

❁❁❁

(١) التوبة : ٥٠ ، ٥١.